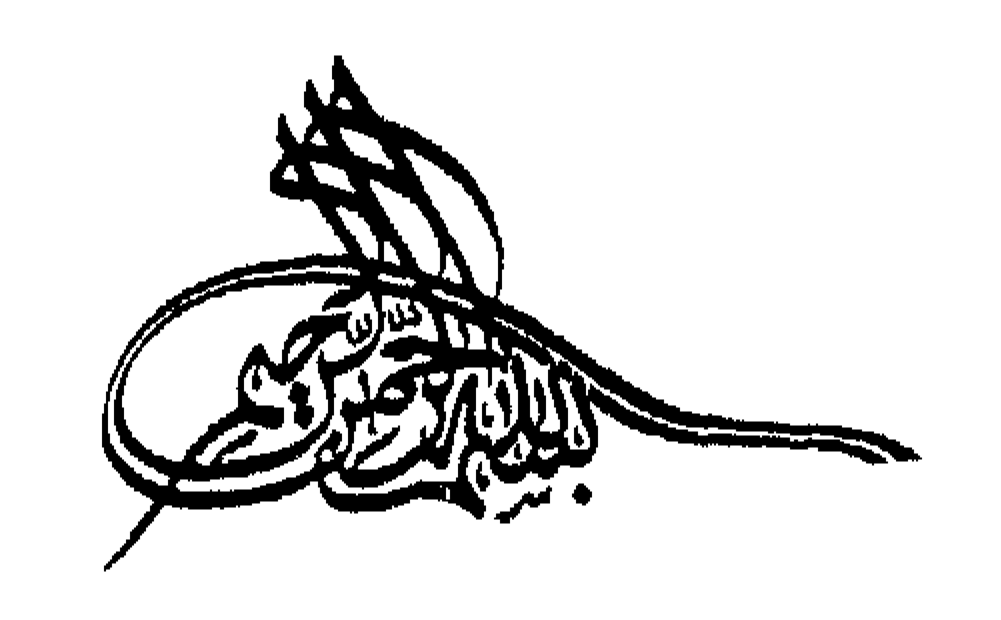
كتاب الشباب

الكَنْزُ الضَّائِع



أحمد عبدالسلام البقالي

مكتبة العبيكان



الكَنْزُ الضَّائِع

بقلـم

أحمد عبد السلام البقالي

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البقالي، أحمد عبد السلام

الكنز الضائع. ـ الرياض.

... ص؛ ... سم. ـ (سلسلة كتاب الشباب)

ردمك ١ ـ ٢٣٢ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ القصص البوليسية العربية　　أ ـ العنوان　　ب ـ السلسلة

ديوي ٨١٣، ٠٨٧٢　　١٧/٠١٣٨

ردمك ١ ـ ٢٣٢ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠　　رقم الإيداع: ١٧/٠١٣٨

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ
الطبعة الثانية - مكررة
١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥
هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

عـادَ الفتَى المختـارُ أغلـولُ إلَى بيتِـهِ يجرِي ويكـادُ يطيرُ منَ الفرحِ ! دفعَ البابَ ودخلَ علَى أمِّهِ الحاجة زهرة لاهثًا وصاحَ :

- أمِّي ، لقدْ ختمتُ القرآنَ !

فانفتَح فَمُهَا ، ونظرتْ إليْهِ مندهشَةً ، وسألَتْهُ غيرَ مصدقةٍ :

- أحقًّا ، يا ولدِي ؟!

- واللّـهِ العظيمِ ، يا أمِّي ! ختمتُـه كتـابةً وحفظًـا . أخبرنِي بـذلكَ فقيهُنَـا السيـدُ الطـاهـرُ اليـومَ بعـدَ أنْ ختمتُ قـراءةَ السلكةِ[1] أمـامـه ، دونَ تـوقفٍ أو خطإٍ ! وقـدْ طلبَ منِّي أنْ أقـولَ لكِ أن تُقيمِي لنَا حفلَ الختمـةِ[2] ، بعـدَ صلاةِ الجمعـةِ القـادمـةِ . وسيحضرُ الفقيـهُ وجميعُ الطلبـةِ[3] إلى بيتِنَـا لأكلِ الكسكسِ !

(١) السُّلْكَةُ : قراءة كاملة للقرآن .
(٢) الخِتِمةِ : ختم حفظ القرآن الكريم .
(٣) الطَّلْبَة : تلاميذ الكُتَّاب القرآني .

ففتحتْ الأمُّ ذراعيْهَا، وضمَّتْهُ إلى صدرِهَا، وانهمرَتْ دموعُ السعادةِ غزيرةً منْ عينيْهَا. كانَ ذلكَ اليومُ منْ أسعدِ أيامِ حياتِها، لا يعادلُه إلا يومَ ولَدَتْهُ!

كانتِ الحاجةُ زهرةُ منْ بيتِ علمٍ ودينٍ. تُوُفِّيَ أبوهَا الفقيهُ سيدِي المختارُ الراضِي، فاضطُرَّتْ إلى الزواجِ من تاجرٍ كبيرِ السنِّ، ماتتْ عنهُ زوجتُه، وتركتْ لهُ ولدينِ بالغينِ.

وبعدَ صلاةِ الجمعةِ حضرَ طلبةُ الكُتَّابِ، يتقدمُهُم الفقيهُ الطاهِرُ، وهمْ ينشدونَ نشيدَ الختمةِ بأصواتٍ عاليةٍ... وقدَّمتْ لهمْ والدةُ المختارِ قصاعَ الكسكسِ باللَّحمِ والخضرِ، وأتبعتْهُ بكؤوسِ الشاي الحُلوِ المنعنع[1]. وبعدَ الشاي فتحَ الفقيهُ سورةَ ﴿**إنَّا فتحنَا لكَ فتحًا مبينًا * ليغفرَ لكَ الله ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّرَ...**﴾ وبعدَهَا رفعَ الجميعُ أكفَّهُمْ بالدعاءِ للمختارِ الراضِي بالفتحِ والنجاحِ... وأرسلتْ السيدة زهرةُ إلى دارِ الفقيهِ قصعةَ كسكسٍ وقالبَ[2] سكرٍ، وطلبتْ منهُ نُصحَ ابنِها المختارِ بما ينبغي أنْ يفعلَهُ بعدَ أن ختمَ القرآنَ الكريمَ.

---

(١) المنعنع: الذي أضيف اليه النعنع.
(٢) قالب السكر: قطعة أسطوانية من السكر الصلب.

كانـتْ حريصـةً علَى أنْ يكونَ ابنُها عـالمًا جليلاً، مثـلَ جدِّهِ الذي علَّمَهَـا القرآنَ وبعضَ الحديثِ النبـويِّ. لمْ تكنْ ترغبُ في أنْ يصبَح تـاجرًا بسيطًـا بلا طمـوحٍ، مثلَ أبيهِ الأمِّي المشغـولِ بجمعِ المالِ، ولا مثلَ أخـويـهِ من أبيهِ مـرزوقٍ ومسعـودٍ . . . فنصحَهُ الفقيهُ بحفظِ متونِ الديـنِ والنحوِ واللغةِ، قبلَ التوجُّهِ إلى جامعة القرويينَ بفاسٍ.

كـانَ أخَوَاهُ وريثَين حقيقيينِ لأبيهِمَا في الشَّراهـةِ وحب المالِ! وكانَـا يكرهَـانِ زوجةَ أبيهِمَا زهـرةَ؛ لأنَّها خلَفَتْ والـدتَهُما الميتةَ، وضَـايقتْهُمَا في ثـروةِ والـدِهِمَا، بـوجـودِهَـا وبـالطفلِ الجديـدِ المختارِ. وحينَ ماتَ والدُهُما استوليَا علَى كلِّ شيءٍ واختفيَا . . . وعادتْ زهـرةُ إلى بيتِ أبيهَا، وكرَّستْ بقيَّةَ حيـاتِها لتربيةِ الطفلِ النبيهِ الوسيمِ.

وبعدَ حفظِهِ المتونَ، نصحهُ معلمُـهُ بالذهابِ إلى تارودانت، عاصمـةِ المنطقةِ العلميـةِ، لدراسـةِ العلومِ الـدينيةِ والعـربيةِ. وهناكَ كـانتْ أمُّهُ ترسلُ إليـهِ كلَّ مَا كـانَ يحتاجُ إليه من مـؤونةٍ ونقودٍ. وكانَ هوَ يعودُ مشتاقًا إليهَا وإلَى قريتِهِ وأصدقائِهِ في كلِّ عطلةٍ مدرسيةٍ.



وفي أحدِ الأيامِ جاءَ منْ أخبرَه بوفاةِ والدتِه الحبيبةِ العزيزةِ، فانهارَ عالَمُه . . . ووقفَ علَى قبرِهَا يبكِي وحيدًا، وقلبُه يكادُ يتفطَّرُ حزنًا وضياعًا . . . وجاءَ معلمُه، فأحاطَهُ بذراعِه، وأخبرَهُ أنَّ أخويْهِ مرزوقًا ومسعودًا موجودانِ في مدينةِ العرائشِ بالمنطقةِ الشماليةِ، ونصَحَهُ بأنْ يذهبَ إليهِمَا، ويطالبَهُمَا بحقِّهِ في تركةِ والدِهِ. وكتبَ لهُ رسالةً إليهِمَا، يذكرُهُمَا فيهَا بأحكامِ الشريعةِ، ويهدِّدُهُما تهديدًا ضمنيًّا بالمتابعةِ أمامَ القضاءِ. وساعدَهُ علَى الحصولِ على جوازِ سفرٍ يجتازُ بهِ الحدودَ بينَ منطقتَيِ الحمايتينِ الفرنسيةِ والأسبانيةِ.

❊ ❊ ❊

كانَ الأخوانِ مرزوقٌ ومسعودٌ قدْ هربَا ليلاً بأموالِ أبيهِمَا في نهايةِ عامِ ١٩٣٩م، دونَ أن يخبرَا أحدًا بوجهتِهِما. وقامتْ الحربُ العالميَّةُ الثانيةُ فانقطعتْ الصلاتُ بينَ المنطقتينِ، وساعدتْ على إخفاءِ وطمسِ أثرِهِمَا. فقدْ أخذتْ أسبانيَا جانبَ ألمانيَا في الحربِ ضدَّ فرنسَا، وأغلقتِ الحدودُ بينَ المنطقتينِ المغربيّتينِ . . .

وفي مدينـةِ العرائشِ استطاعَـا أن يؤسِّسَا شركـةَ نقلٍ مهمةً، واقتنيَـا عـددًا مـنَ النـاقـلاتِ الكبيرةِ التي كـانـتْ تـربطُ بين العرائشِ والمدنِ والأسواقِ المجاورةِ لهَا.

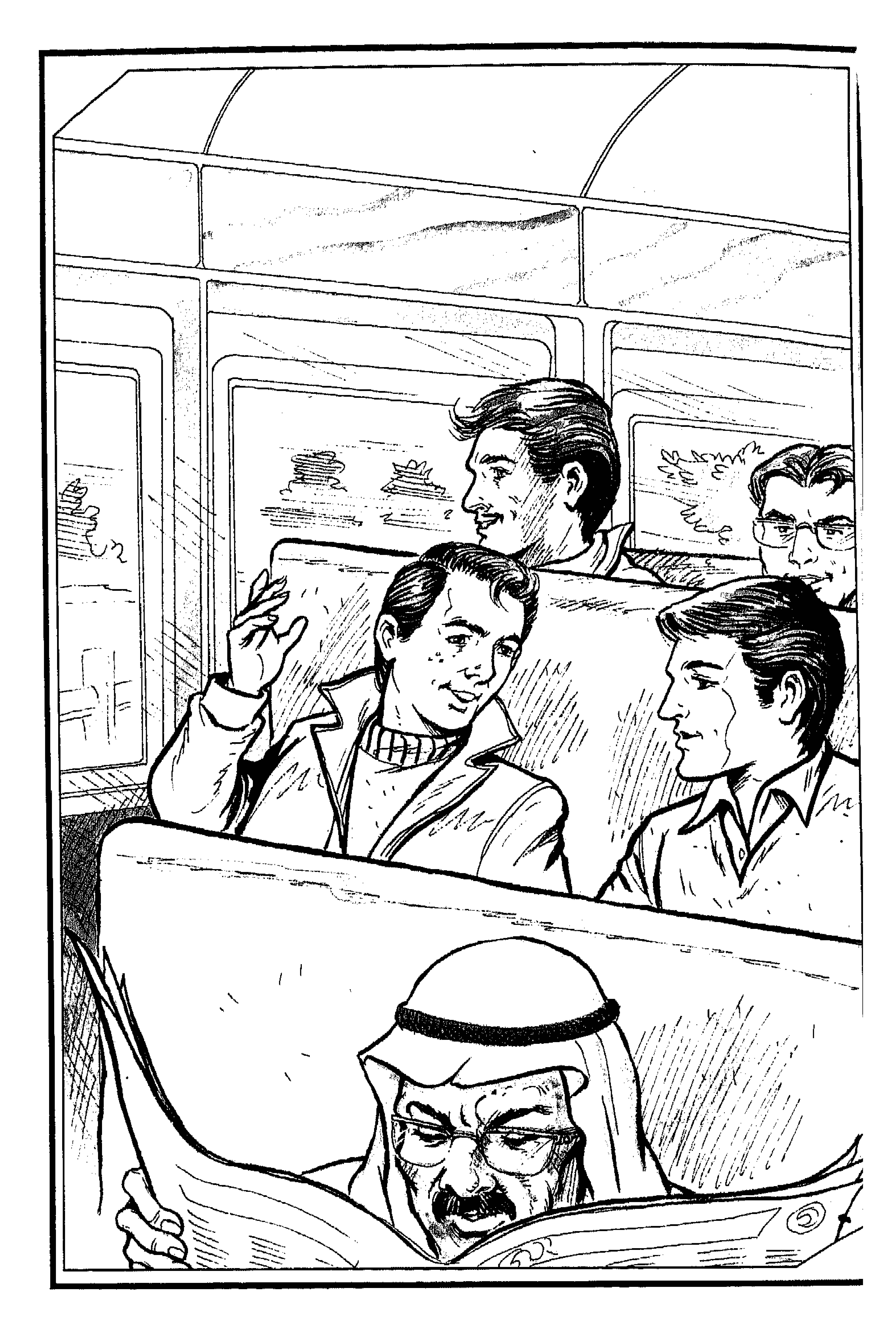
وكـانَـا شـديـدَي البخلِ، يعيشـانِ على الشـايِ والخبـزِ والـزيتـونِ، ولا يملكـانِ إلا بُلغـةً[1] واحـدةً، يستعملُهـا من يغادِرُ الدكانَ، لقضَاءِ حاجـةٍ مَا، ويبقَى أخُوه حافيَ القدمينِ، حتَّى لا يقفلَ الـدكانُ. . . وبـذلكَ استطـاعَـا تكديسَ ثـروةٍ طائلةٍ لا يعرفانِ مدَاها. . !

ولما كـانَـا لا يثقـانِ في البنـوكِ، ويخافـانِ من دفعِ الـزكـاة والضرائب فقد كانَا يحتفظانِ بأموالِهما في شكلِ أوراقٍ نقديةٍ من فئةِ ألفِ بسيطـةٍ، في خزانةٍ حـديديةٍ داخلَ حـائطٍ، ووراءَ قطعةِ أثاثٍ كبيرةٍ. . !

وكـانَ شُحُّهُمَا مضرِبَ الأمثَـالِ، وهـدفًـا لكثيرٍ من التشنيعِ والتنكيتِ! ولمْ يتـزوجَا خشيـةَ الإنفـاقِ علَى الزوجـةِ والأولادِ. ولكنَّهمَا اضطُرَّا إلى الزواجِ بعـدَ أنْ أصبحـتِ الـمدينـةُ تعدُّهُمَا

---

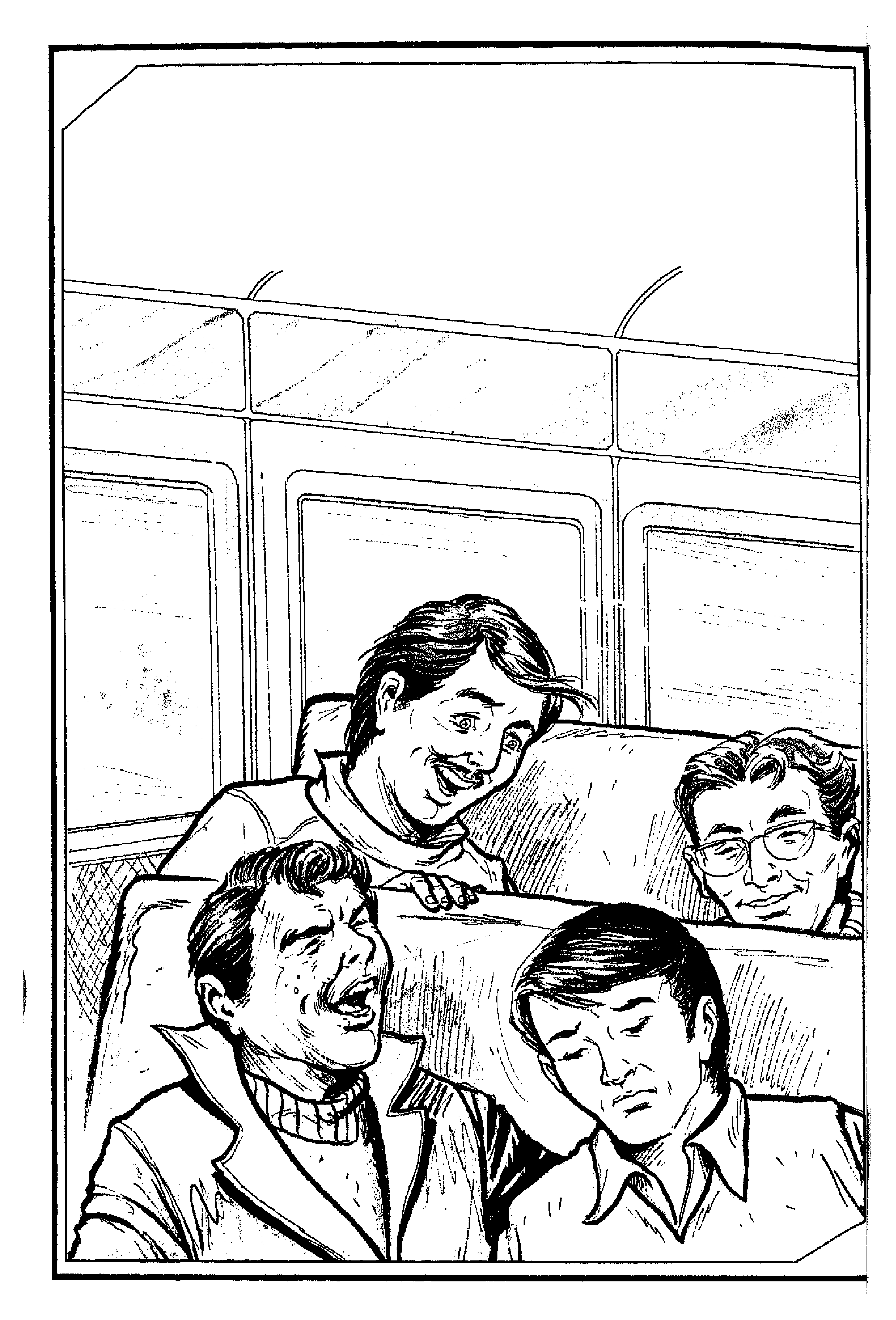
(١) البلغة: الحذاء المغربي الأصفر المفتوح من الخلف.



- بالرغمِ مِنْهُمَا - من أعيانِهَا ! وبنيَا فوقَ الدكانِ شقتينِ صغيرتينِ، واشتريَا بُلغتينِ.

كانَ الفتَى المختارُ أغلولُ في الثامنةَ عشرةَ حينَ سافرَ المسافةَ الطويلةَ بينَ تارودَانت والعرائشِ بالقِطَارِ. وكانتِ الحربُ قدْ وضعتْ أوزارَهَا، فاستطاعَ اجتيازَ الحدودِ بينَ عرباوةَ والقصرِ الكبيرِ. ونزلَ بالقصرِ الكبيرِ بحقيبتِهِ الخشبيةِ، وركبَ حافلةَ أغلول إلى مدينةِ العرائشِ. وخَفَقَ قلبُهُ حينَ قرأَ اسمَهُ العائليَّ أغلول بالعربيةِ والأسبانيةِ على حافلةِ أخويهِ.

وفي الحافلةِ جلسَ بجانبِهِ فتًى في سنِّه تقريبًا، فسألَهُ المختارُ هلْ يعرِفُ صاحبَيِ الحافلةِ؟ فضحكَ الشابُّ، وقالَ: «الناسُ يسمونَهمَا هنَا بالجلدتينِ، لشدةِ بخلهما. . . ويحكونَ عنهُمَا الحكاياتِ والنوادرَ المضحكةَ، فيحكون عن مرزوقٍ الذِي سقطَ منهُ قِرشٌ من نافذةِ منزلِه بالدورِ الثالثِ، فنزلَ يجرِي حتى لا يسبقَهُ إليهِ أحدٌ، وانحنَى يبحثُ عَنْهُ، فسقطَ القرشُ علَى قفاهُ !».



وضَحِكَ المختارُ ضحكةَ مجاملـةٍ صفراءَ، فعادَ الفتَى يحكِي نكتةً أخرَى، ظنًّا منهُ أنَّ المختارَ لم يفهمِ الأولَى، قال: «مسعودٌ ومـرزوقٌ يضعـانِ مـرآةً في درجِ الفلـوسِ. أتعـرفُ لماذا؟ حتّى يتأكدَا منْ أنهُمَا اللذانِ يفتحانِهِ!».

وكـانَ بجـانبِهما فتًى ينصِتُ ويضحكُ، فقـالَ: «ويحكَى أنَّ أمَّهُمَا جـاءتْ لـزيارتِهما، ففـرحَـا بهَا، وسألاهَـا ماذَا تـريـدُ أنْ تشربَ؟ وحينَ طلبتْ كُوكا كولا، سألاها: هـلْ جئتِ بالزجاجة الفارغةِ؟!».

ولمْ يـلاحظِ الفَتَيانِ انقبـاضَ المختـارِ وعـدمَ تجاوبِهِ، فظـلاَّ يحكيـانِ بصـوتٍ مرتفعٍ، خصـوصًـا حينَ أخـذَ بقيةُ الـركـابِ يضحكـونَ من النكـاتِ ويستـزيـدونَ... وتكلَّمَ شـابٌّ من خلفِهِما قائلاً: «أنَـا سمعتُ أنَّ الأخوينِ ورثَـا الشُحَّ عن أبيهِمَا؛ فقـدْ قيلَ عنهُ إنَّـه لمَّا حضرَهُ الموتُ، جمعَ أولادَهُ السبعـةَ حولَـه، وأخذَ يسألُ عنْ كلِّ واحـدٍ باسمِهِ، وحينَ أجابُـوا جميعًا، صاحَ فيهـم: ومنْ تركتُم في الدكانِ، يا أولادَ السوْقِ؟!».

وأضافَ الفتَى الأولُ: «فعـلاً! فقدْ سألَهُما، مرةً، كمْ سـاعةً يفتحـانِ الدكـانَ؟ وحينَ أجابَـا بأنَّهُمَا يفتحـانِهِ أرْبعًـا وعشرينَ ساعةً في اليومِ قالَ لهُمَا: بيعَا البابَ!».

وقالَ الفتَى الأولُ : «أتعرفونَ كيفَ ماتَ الأبُ؟ ماتَ ويدَاهُ مرفوعتَانِ إلَى أعلَى ! لأنَّهُ كانَ يرفعُ بابَ الدكانِ، حينَ اكتشفَ أنَّهُ تعرَّضَ للسرقةِ !» .

وأضافَ الفتَى الثانِي: «أتعرفونَ ماذَا كانَ أبوهُما يرَى حينَ كانَ يفتحُ بابَ الدكانِ ؟ يرَى الشارعَ ! فقدْ كانَ ينامُ فِي الدكانِ!» .

وانطفأت شعلةُ الشوقِ والفخرِ في صدرِ المختارِ بأخويْهِ الناجحينِ، وعزَّ عليهِ أن يصبحَا مسخرةً لأهلِ هذَا البلدِ البعيدِ الغريبِ، ويمرِّغَا اسمَ العائلةِ في الأوحالِ . . .

ومعَ ذلكَ مسحَ دموعَه، وكبَتَ الرغبةَ في العودة من حيثُ أتَى، وذهبَ إليهِمَا في دكانهما . ووقفَ علَى بابِ الدكانِ ينظرُ إليهِمَا لعلَّهُ يتذكرُهُما . وكانَا قدْ ترَكَا لحيتيْهِما تطولانِ، توفيرًا لشفراتِ الحلاقةِ وادعاءً للورعِ والتديُّنِ! فتعرَّفَهما رغمَ طولِ العهدِ بهمَا . ووقفَ ينتظرُ حتّى انتهيَا من بيعِ أوراقِ الحافلةِ الخارجة، ونظرَ إليه أخُوه مرزوقٌ وسألَه دونَ أن يبدُو عليهِ أنَّه تعرَّفهُ :

- ماذَا تريدُ؟

فابتسمَ المختارُ، وقالَ :

- ألمْ تعرِفْنِي؟! أنَا المختارُ، أنا أخوكُمَا الصغيرُ. . .

وانضمَّ مسعودٌ إلى مرزوقٍ، لينظرَ إلى هـذَا المخلوقِ الغريبِ الذي يَدَّعِي أنَّهُ أخوهُمَا، فقالَ مرزوقٌ :

- يفتحُ الله ! نحنُ ليسَ لَنا إخوةٌ !

- فكبَتَ المختارُ الطعنةَ، وأعاد الكَرَّةَ :

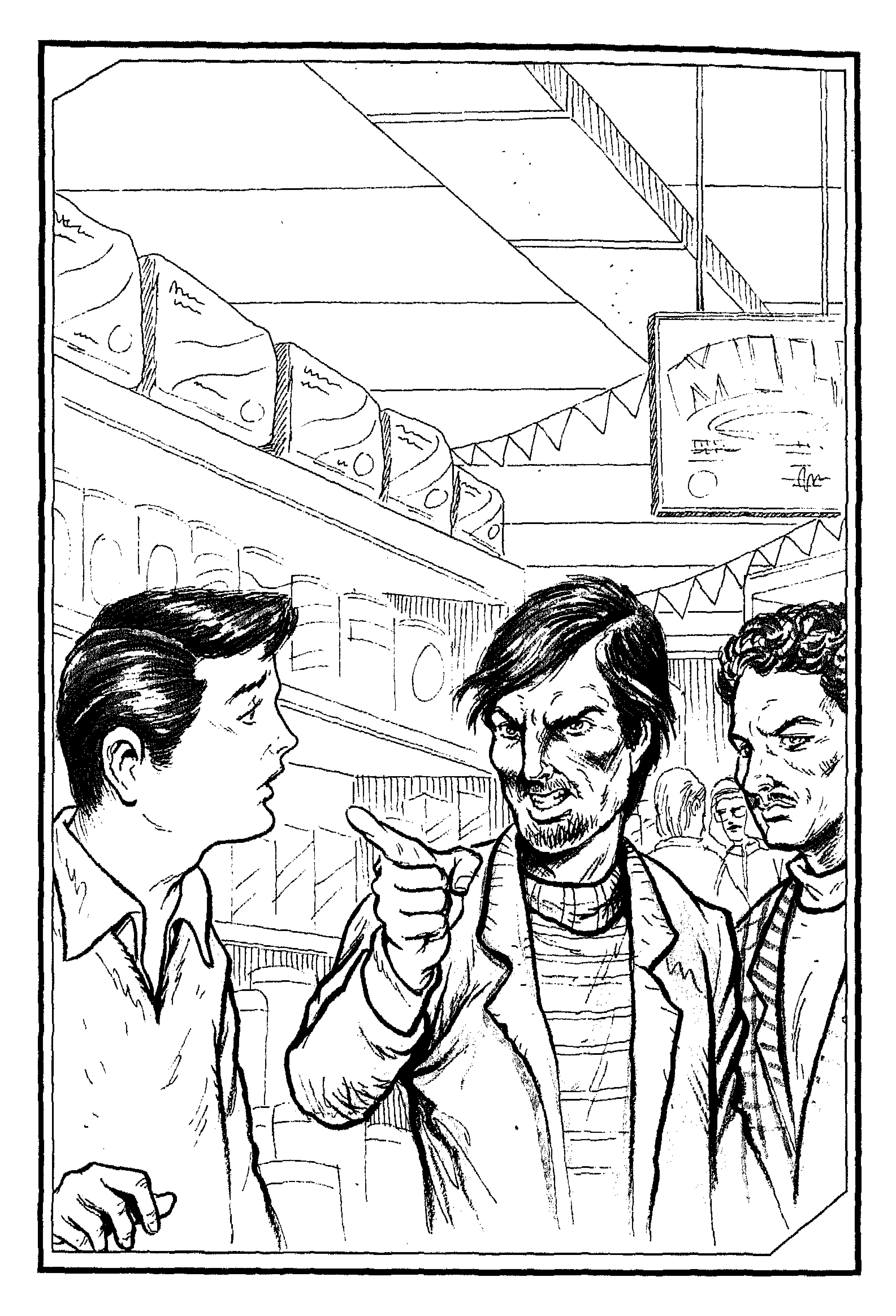
- طبعًا أنتُمَا لا تـذكـرانِنِي، فقدْ تـركتُمَا البلَـد وأنَـا طفلٌ صغيرٌ. . .

فقالَ مسعودٌ :

- اذهبْ، يا ولدِي، اذهبْ. الله يُسَهِّل. . .

فأخرجَ المختارُ جوازَ سفرِهِ، ووجَّهَهُ إليهِمَا قائلاً :

- انظـرَا، هذِهِ صـورتِي، وإلى جـانبِها اسمِي، المختـارُ بنُ إبراهيمَ أغلول.



وقرَّبَ الجوازَ منهُما، فلمْ ينظُرَا إليهِ . . . وتذكَّرَ المختارُ رسالةَ الفقيـهِ السيدِ الطـاهـرِ، فأخرجَهَـا من جيبِـهِ، ومدَّهـا إليهِمَا، فامتنَعَا عن أخذِهَا، وكأنَّهَا عقربٌ ! قالَ المختارُ:

- إنَّها رسالةٌ من فقيهِكُما، السيد الطاهرِ!

ولمْ يظهرْ على وجهيهما أثـرٌ لمعرفةِ الـرجلِ. ففتحَ الرسـالةَ، وقرأَهَا عليهِـمْ، حتّى وصلَ إلى خاتمةِ الـرسالةِ التي أنهاهَا الفقيهُ بالآيةِ الكريمةِ ﴿**فأمّا اليتيمَ فلا تقهرْ * وأمَّا السائلَ فلا تنهرْ * وأمّـا بنعمةِ ربِّكَ فحـدِّثْ**﴾ صدق الله العظيـم. ورأى مرزوقٌ زبونًا قـادمًا - وكانَ أشرسَ الأخوينِ - فخطَفَ الرسـالةَ من يدِ المختارِ ومزَّقَها، وألقَى بها وراءَه، وصاحَ فيهِ:

- اذهبْ، أوْ أدعُو لكَ الشرطةَ !

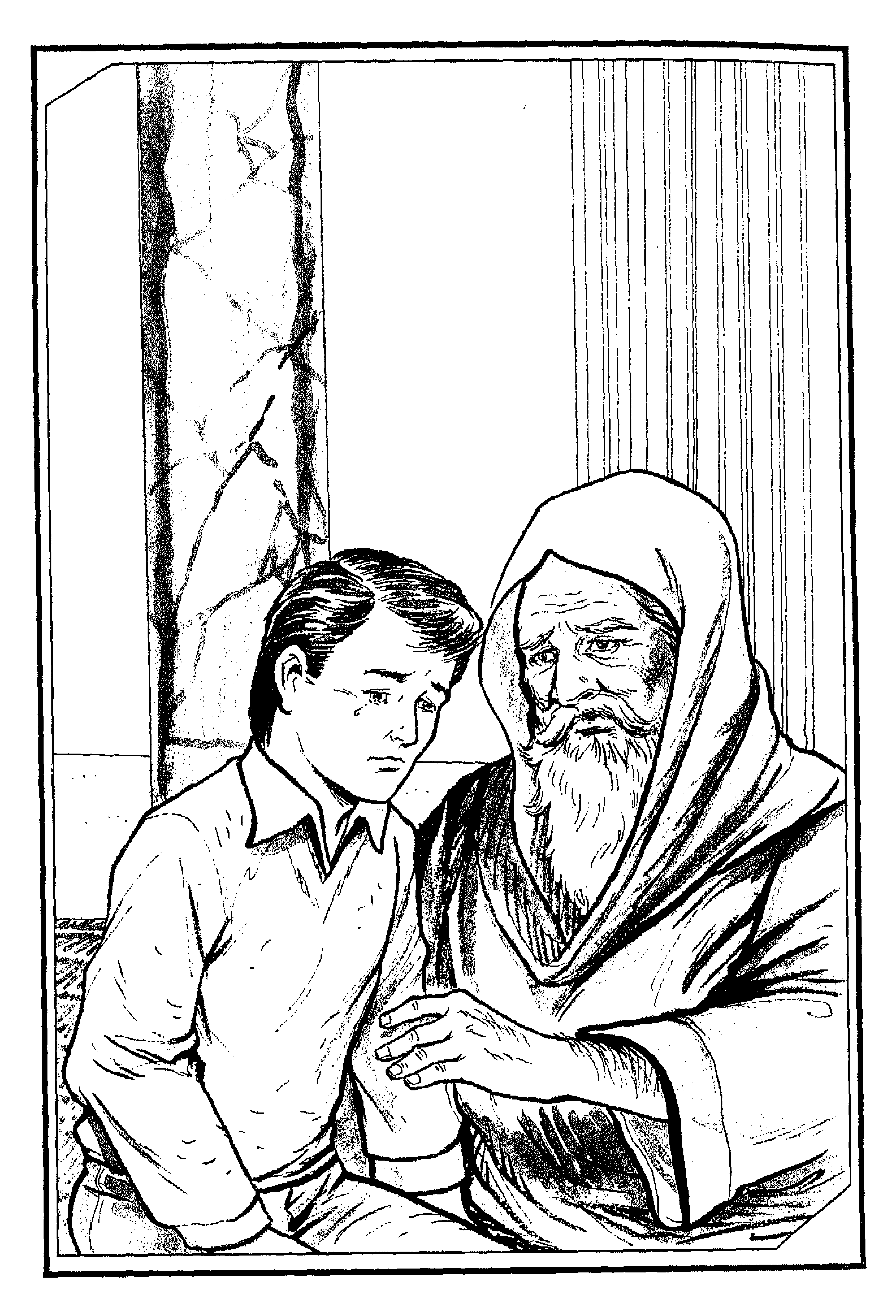
وأحسَّ المختارُ بالقهـرِ الشديدِ وبالدمـوعِ تطفرُ من عينيْهِ، رغمَ إرادتِـهِ ! كانَ مـوقفُهُمَا القاسِي لا يعنِي فقطْ إنكـارَ أُخُوَّتِـه وحرمـانَه من إرثِ أبيهِ، بلْ كانَ يعنِي أنَّـه أصبحَ بلا مأوَى ولا أهلٍ في ذلكَ البلـدِ البعيـدِ عن قـريتِـهِ بالجنـوبِ، وبـلا مـالٍ



للإقامةِ في فندقٍ، أو العودةِ منْ حيثُ أتَى! ولمْ يكنْ لهُ طمعٌ فِي استرجاعِ نصيبِهِ من الإرثِ، بقدرِ ما كانَ يريدُ أن تكونَ لهُ أسرةٌ وأهلٌ . . .

وأنقذَهُ أذانُ العصرِ من صدْمتِهِ، فذهَب إلى أقربِ مَسْجدٍ ليصلِيَ، ويُفكِّرَ فيمَا عليهِ أنْ يفعَلَ . . . . ثُمَّ صلَّى المغربَ وراءَ إمامٍ مهيبِ الطلعةِ، ذكَّره بجدِّهِ لأمِّهِ، كما رآهُ في الصورةِ، وكمَا كانتْ تحكِي له عنهُ أمُّهُ. ولم يَفُتِ الإمامَ أنْ يلاحظَ وجودَهُ بينَ المصلِّينَ الدائمينَ، فوجَّه إليه تحيةً خاصّةً. ولاحظَ احمرارَ عينيْهِ، ولكنَّهُ لمْ يقلْ شيئًا. وبعدَ الصلاةِ جلسَ المصلُّونَ في نصفِ حلقةٍ حولَ المحرابِ، لقراءةِ الحزبِ، فجلسَ بينَهُم، وقرأ معهُمْ دونَ تعثُّرٍ ولا تردُّدٍ. وكان الإمامُ يسترِقُ النظرَ إليهِ، وهوَ جالسٌ جنبَ المحرابِ، على لبدتِهِ الخضراءِ.

وحينَ ختمَ القُرّاءُ الحزبَ وانصرفُوا، استبقاهُ الإمامُ، وسألَهُ هلْ هوَ قادمٌ جديدٌ إلى المدينةِ؟ فوقفتْ غصَّةٌ حاميةٌ في حلقِ الفتَى، ولم يتمالكْ دموعَه، فأخذَ الإمامُ يهدِّئُهُ، ويطيِّبُ خاطرَهُ، حتّى كفَّ عنِ البكَاءِ ومسحَ دموعَهُ، وحكَى للفقيهِ قصَّتَهُ الحزينةَ، فقالَ لهُ الرجلُ باسمًا:



- لا تحزنْ، يـا ولـدِي . . . اللّـهُ كـريمٌ، ولن يتخلَّى عنكَ! وسيأخذُ حقَّكَ منَ الظـالمِيْنِ! والآنَ، ستذهبُ معِي إلى دارِي، فعندِي ولدٌ في مثلِ سنِّكَ، وغدًا مدبِّرُهَا حكيمٌ . . .

وعلَى مائدةِ العشاءِ تبيَّنَ الإمامُ محمَّـدٌ الكورفطِيّ، من طريقةِ أكلِ المختارِ وحـركاتـهِ المهذبـةِ أنَّ الفَتَى كان متمـدنًا وذا تـربيةٍ حسنةٍ. ومن حديثِهِ معـهُ أدْرَكَ أنَّهُ لم يكنْ يحفظُ القرآنَ عن ظهرِ قلبٍ فقطْ، بلْ ويستظهـرُ عددًا منَ الأحـاديثِ النبويّـةِ والمتونِ الدينيةِ واللغويةِ والحسابيةِ والفلكيةِ. . !

وفي الصبـاحِ خيّرَهُ الإمامُ بينَ أنْ يشترِيَ لـهُ تـذكرةَ عـودةٍ إلى قريتِهِ، أو يجدَ له عملاً كمدرسٍ للقرآنِ والمتونِ في مكانٍ قريبٍ من المدينةِ، حتّى يحصلَ لَـهُ علَى منحةٍ للدراسةِ بالمعهـدِ الدينيّ بالعرائشِ، فاختارَ الفتَى البقاءَ علَى العـودةِ خائبًا إلى قريتِهِ التِي لم يعدْ لهُ فيهَا قريبٌ.

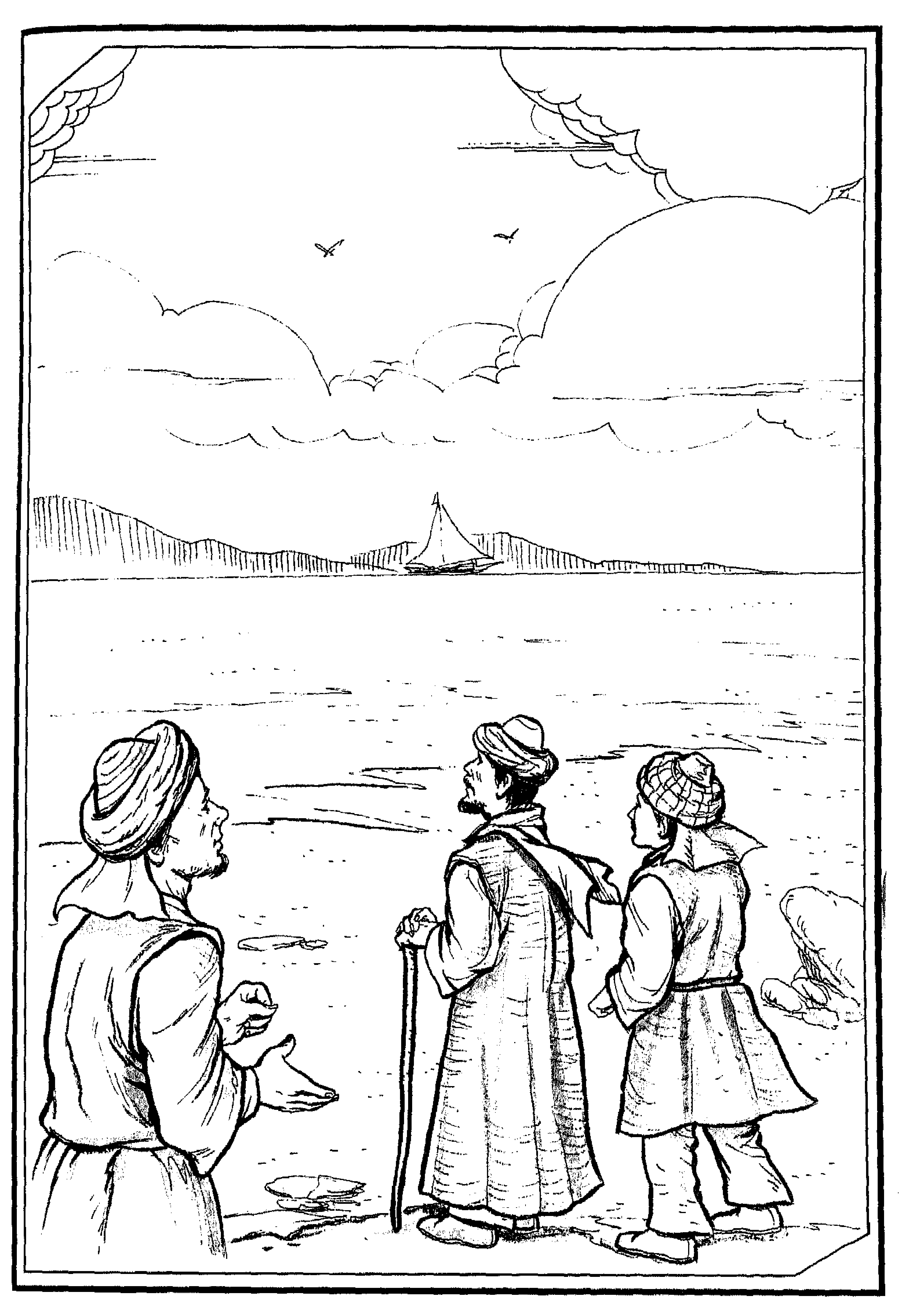
وكـانَ اليـومُ الموالِي يـومَ خميسٍ، فأخـذَهُ الإمـامُ إلَى مـوقفِ السياراتِ، وأوصَـى به أحدَ التجـارِ الذاهبينَ إلى سـوقِ خميسِ السـاحلِ، شمالَ العـرائشِ، علَى الطـريقِ المؤدِّيــةِ إلى أصيلـةَ

وطنجةَ، ليسلمَهُ إلى صــديقٍ لهُ منْ قريةِ «دشرِ الــرواحِ» القريبَةِ من الســوقِ، وأعطاهُ رســالةً إلى شيــخِ القريــة، السيد عبـد الله غيلانَ.

كانتِ الأحداثُ تجري من حولِ المختارِ أغلول بسرعةٍ أنستْهُ مشكلاتِهِ وهمومَه، وأحسَّ بدفءِ هؤلاءِ الناسِ الطيبينَ وحُبِّهِم للخيرِ ورغبتِهِمْ في السعيِ فيـهِ، لاَ طمعًا في دنيَا، ولكـنِ ابتغاءَ مرضاةِ الله.

* * *

وقضَى بيـاضَ نهارِهِ في ســوقِ الخميسِ الأسبــوعيــةِ. وبعــدَ صلاةِ العصرِ تــوجَّهَ صحبــةَ الشيخِ عبد الله غيــلانَ وجماعةٍ من القــرويينَ إلى «دشرِ الرواحِ» علَى ظهــورِ البهائمِ. لم تكنْ هنــاكَ طريقُ سياراتٍ توصلُ إليهِ، كـانتْ طريقُ الراجلينَ تخترقُ غابةَ صفصافٍ وفلين كثيفةً. وحينَ اقتربُوا من القريةِ دخلتِ القافلةُ غابةً من الصخورِ الملساءِ العـاليةِ والقصيرةِ، وتعرَّجَتْ أمامَهُم الطريقُ بينَهَا.



وفجأةً لاحَ لهُم المحيطُ الأطلسيُّ الممتــدُّ الهائلُ ، وقــدْ أوشكَ قـرصُ الشمسِ الأرجـوانيُّ الضـخمُ أنْ ينـزلَ في الماءِ . وكـانَ الماءُ أحمرَ قانيًـا ، تتراقصُ فوقَهُ صحـائفُ من ذهبِ الأصيلِ ، تخلبُ الألبـابَ . . . وخشعتْ نفوسُ القـرويينَ ، فارتفعتْ أصـواتُهُم بـالآيةِ القـرآنيـةِ الكريمـةِ : ﴿**والأنعـامَ خلقَهَا لكمْ فيهَـا دفءٌ ومنـافعُ ومنهَـا تأكلـونَ * ولكمْ فيهَـا جمالٌ حينَ تُـريحونَ وحينَ تَسرحونَ * وتحملُ أثقـالَكُم إلَى بلـدٍ لمْ تكـونُوا بـالغيـهِ إلا بشقِّ الأنفسِ إنَّ ربَّكُمْ لرؤوفٌ رحيمٌ**﴾ .

وانبهـرَ المختارُ للمشـاهدِ الطبيعيّـةِ الرائعـةِ التِي لم يرَهـا منْ قبلُ ، ولأصـواتِ هؤلاءِ القرويينَ الطيبينَ الـذينَ يعبِّرُونَ بـذكرِ الله عن حُبِّهم لهُ ولبـديعِ خلقِهِ ، وأحسَّ وهوَ يرفعُ صـوتَه معَهُم بالتلاوةِ بالدموعِ تترقرَقُ من عينيْهِ . . .

ومعَ المغـربِ دخلتِ القافلـةُ الصغيرةُ قـريةَ «دشرِ الـرواحِ» ذاتَ الأكـواخِ البيضاءِ ، وتـوجَّهَ بـهِ الشيخُ رأسًا إلى المسجـدِ ، حيثُ كانَ الناسُ ينتظرونَهُ لإقامةِ الصلاةِ .

وسارتِ الأمورُ بسرعةٍ بعدَ الصلاةِ، فقدَّمَهُ الشيخُ إلَى مدرِّسِ القرآنِ العجوزِ المريضِ. ورحَّبَ بهِ هذا كمساعدٍ لهُ، وقدَّمَ لهُ تلاميذَهُ، وقادَهُ إلى الغرفةِ الملحقةِ بالجامعِ المخصصةِ لإقامتِهِ، وأخبرَهُ بأنَّهُ سيعيشُ علَى «المعروفِ»، أيْ مَا يقدِّمُه أهلُ تلاميذِ القريةِ مِنْ طعامٍ وكساءٍ ونقودٍ في المناسباتِ.

ووجدَ في المسجدِ خِزانةً بهَا عددٌ من أمهاتِ الكتبِ، فأقبلَ على قراءتها بنهمٍ، خصوصا مع عدم وجودِ تسليةٍ أخرَى، غير الحديثِ إلَى الناسِ والتجوُّلِ في الغابةِ وعلَى شاطئِ المحيط.

* * *

وبعدَ بضعةِ أشهُرٍ من حلولِهِ بالقريةِ تُوُفِّيَ المعلِّمُ العجوزُ، وأخذَ هوَ مكانَهُ، كمَا كانَ متوقَّعًا، ووجدَ المختارُ في التعليمِ لذةً عظيمة..! كانَ يحسُّ كأنَّهُ بستانيٌّ يتعهَّدُ أزهارًا بشريَّةً جميلةً، ويراهَا تتفتَّحُ كلَّ يومٍ أمامَ عينيْهِ.

ومرَّتِ الأيامُ، واشتَدَّ حنينُهُ إلى قريتِهِ البعيدةِ بالجنوبِ، ولكنَّهُ كانَ كُلَّمَا فكَّرَ في العودَةِ تذكَّرَ أنَّه لمْ يعدْ لهُ بهَا أحدٌ إلا

أقاربُ أبعدونَ، لا يعـرفُهم ولاَ يعرفونَهُ، فكـانَ يبكِي وحدَهُ في جوفِ الليلِ، حتّى يغلبَهُ النومُ. . !

وذاتَ يومٍ جاءَ من أخبرَ أهلَ القـريةِ أن الفرنسيينَ نَفَوْا ملكَ البلادِ الشرعيّ، محمدًا الخامسَ، إلى مدغشقـر، وولَّوا بدلا عنه لُعبةً من لُعبهم تـدعَى محمدَ بن عرفـةَ، وأنَّ الطريقَ بينَ الشمالِ والجنوبِ انقطعتْ، ولمْ يَعُـدِ المختارُ يفكِّرُ في العودةِ إلى قـريتِهِ، بلْ أصبحَ يفكِّرُ في الالتحـاقِ برجالِ المقاومـةِ في الجبالِ. ولكنَّ معلومـاتِهِ عمَّا كـانَ يحدُثُ كانتْ محدودةً جـدًّا، فاكتفَـى بقراءةِ الجرائدِ، والإنصـاتِ إلى الإذاعـاتِ، في انتظـارِ فـرصـةٍ مواتيةٍ. . .

كانَ المغـربُ، في هذهِ الأثناءِ، يمرُّ بمـرحلةِ مخاضٍ عسيرةٍ؛ فقـدْ قامَ المغاربةُ لمقاومةِ الاحتلالِ، وتكونت الخلايَا الفدائيةُ في المدنِ، ثم بـدأتْ تتكـوَّنُ فِـرَقُ جيشِ التحـريـرِ في البـوادِي والجبالِ، خصوصًا جبالَ الريفِ الشرقيَّةَ.

ولمْ تمرَّ سنتانِ وشهران وبضعـة أيام علَى نَفْيِ محمدٍ الخامسِ، حتَّى جـاءَ من أخبرَهم بعـودتِـهِ منصورًا من منفـاهُ. . . فخـرجَ

الناسُ يحتفلـونَ بالـدفوفِ والمزاميرِ، ويرقصـونَ في أزقّةِ القـريةِ ويتعانقونَ . . !

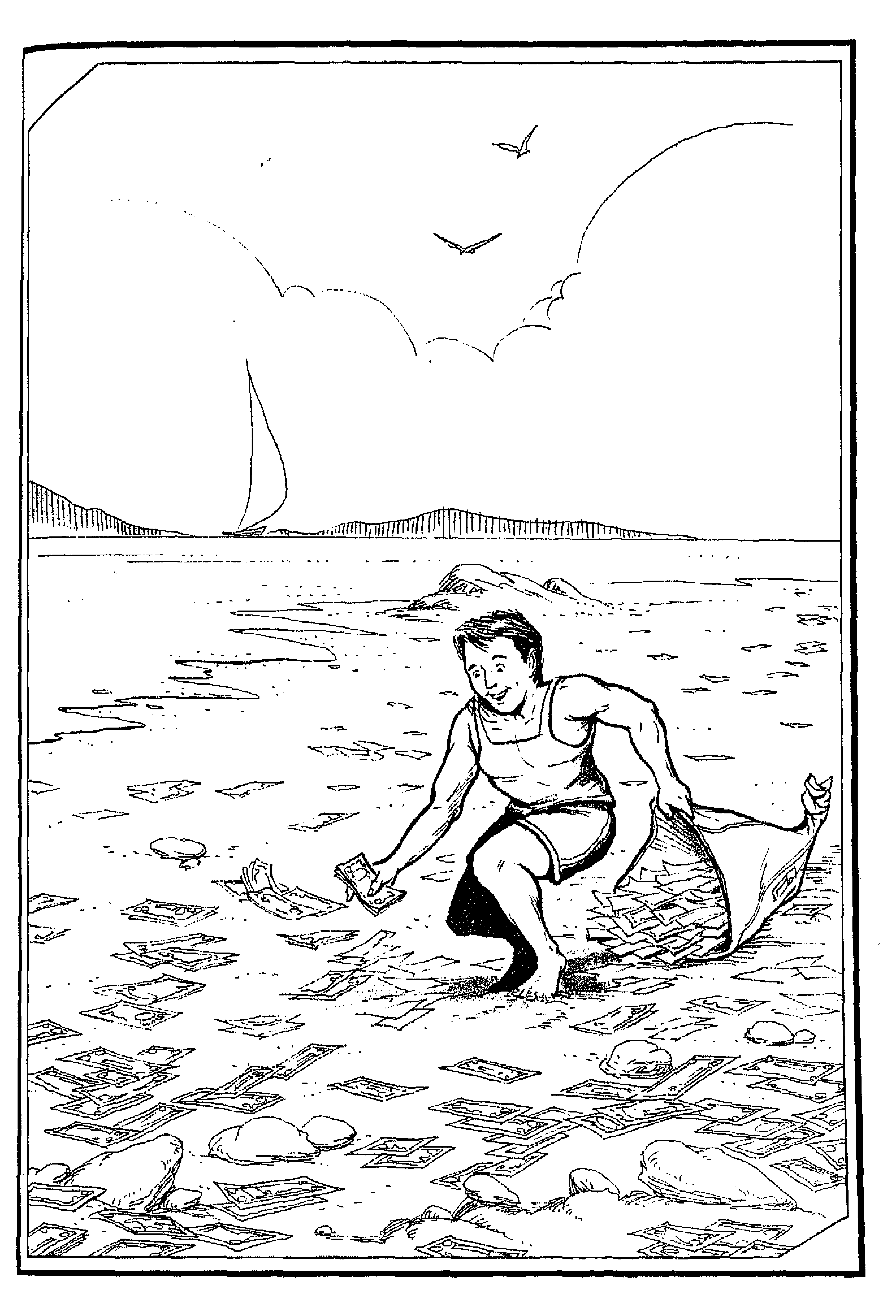
أمّا مـرزوقٌ ومسعودٌ فقدْ أحسَّا بأن التغييرَ الجاريَ في سيـاسةِ البلدِ قـدْ لا يكونُ في صـالِحِهما، خصوصًـا حينَ تخلَّصَ المغربُ من حمايتَيْ فرنسَـا في الجنوبِ وإسبانيَا في الشمالِ، وجـاءَ حكامٌ مغاربـةٌ بدلا عن الأسبانيينَ الذيـنَ كانا يعرفـانِ كيفَ يتفاهمَانِ معهُمْ .

ونـزلـتِ المصيبـةُ حينَ أُعلِنَ عن تغييرِ العملـةِ الأسبـانيـةِ «البسيطـةِ» بـالفـرنكِ المغـربيِّ، لتـوحيـدِ العملـةِ، وخـرجَ المنـادونَ في الشـوارعِ يطلبـونَ من النـاسِ أخـذَ نقـودِهِم إلى البنـوكِ لتغييرِهـا . ولم يجدِ الـرجـلانِ بُـدًّا منْ أخْـذِ أطنـانِ «البسيطـةِ» الأسبـانيـةِ التِي ادَّخـرُوهَا مـدةَ ثـلاثينَ سنـةً في خـزائِنِهـم البـدائيـةِ الخاصـةِ تحتَ الأرضِ، علَى شكلِ رُزَمٍ سميكةٍ مربوطةٍ بالحبالِ!

وفي قـريـةِ دشرِ الـرواحِ نـزلَ المختـارُ بعـدَ صـلاةِ الفجـرِ والإفطارِ إلَى البحرِ للاستحمامِ والهروبِ من حـرِّ القريةِ، وكانَ

البحرُ في جـزرِهِ الأقصَى، والشاطئ خاليًـا تمامًا إلا مِن بعضِ النـوارسِ، ولم يكدْ يقترِبُ من الشـاطئِ حتّى لاحظَ شيئًـا غيرَ عـاديٍّ، رأى الـرمالَ مغطـاةً بأوراقٍ صغيرةٍ ملـونـةٍ في حجمٍ واحدٍ، وحينَ اقتربَ منهَا، واستطاعَ تمييـزَهَا، وجَد أنهَا أوراقٌ مـاليـةٌ من فِئـةِ ألفٍ بسيطـةٍ، وقـد جففتْهَـا شمسُ الصبـاحِ النـاعمـةُ، فدقَّ قلبُـه بعنفٍ، وانحنى، فالتقطَ واحـدةً، فإذا هيَ ورقةٌ ماليةٌ حقيقيّةٌ!

وأصيبَ بنـوعٍ من الهوسِ، فأخـذَ يجمعُ ويجمعُ، ويكـدِّسُ على الأرضِ، ثم نزَعَ جلبَـابَهُ، وربطَهُ من عُنُقِهِ ويـديْهِ، وأخذَ يحشُوهُ حتّى امتـلأ، وحشَا قميصَه وسروالَـه الفضْفاضَ، وحملَ كلَّ ذلكَ إلى مغـارةٍ قـريبـةٍ، وحاولَ أن ينـادي أهلَ القـريـةِ، ولكنَّهُم لم يسمعُـوه من ذلكَ الارتفـاعِ الشـاهقِ، خصـوصًـا وصـوتُ تكسّرِ أمواجِ البحـرِ يُغَطِّي مـا عَدَاهُ من أصـواتٍ! ولم يـزلْ يجمـعُ وينقلُ إلى المغـارةِ حتّى أنهَكَـهُ التعبُ والجوعُ . . . ولكنّـه كانَ قـد أبعدَ جميعَ الأوراقِ عن خطِّ المدّ، ولمْ يبقَ خطـرٌ في أنْ يعودَ البحرُ لأخذِهَا.



ولم يـرفعْ رأسَـه عن الالتقاطِ والتكـديسِ في المغـارةِ إلا حينَ نزلَ الظلامُ، وغطَّى المكانَ. ولحُسْنِ حظِّهِ كانَ اليومُ يومَ سوقٍ، ولم ينـزلْ أحـدٌ من أبنـاءِ القريـةِ إلَى الشـاطئِ، فحملَ جلبـابَـه المحشُوَّ برُزَمِ الأوراقِ الماليةِ، وتسلَّقَ الجُرفَ العالي إلَى القريةِ.

وهنـاكَ وجـدَ شيخَ القـريـةِ قلقًا عليـهِ، ينتظـرُهُ في المسجـدِ وحدَه، ومـا كادَ يفتـحُ فمَهُ بالعتـابِ حتّى أفـرغَ المختارُ أمـامَه الجلبـابَ . . وجحظتْ عينَـا الشيخِ وهـوَ ينظـرُ إلَى كلِّ تلكَ الأوراقِ الماليةِ ! لم يسبقْ لهُ أنْ رآهَا بتلكَ الكثـرةِ في حياتِه! ومدَّ يدَه ليتـأكَّدَ أنّها حقيقيةٌ، ثـمَّ نظرَ إلى المختـارِ فزِعًا وقـال: «منْ أينَ لكَ كلُّ هذهِ الأوراقِ الماليةِ، يا بنيّ؟».

وكـانَ في سـؤالِ الشيـخِ اتهامٌ ضمنيٌّ بتصرفٍ غير سليمٍ. فطمأَنَه المختـارُ إلى أنَّه وجدَهـا علَى الشاطئِ، وأنّها ليستْ مِلكَ أحدٍ، وأنَّ هناكَ منها ما يملأُ غرفةً كبيرةً. . .

ودخلَ المختارُ غرفَتَه، وعـادَ بكسرةِ خبزٍ كبيرةٍ، أخذَ يقضِمُ منهَا ويأكلُ بشراهةٍ، وقالَ للشيخِ: «لمْ آكلْ طولَ النهارِ! نزلتُ

مع الفجرِ للاستحمامِ، فوجدتُ الشاطئَ مغطًّى بهَا . . . والحمدُ لله أنّ ريحًا لم تهبَّ، وإلا كانت حملتْها إلي مكانٍ آخرَ» .

فسألَ الشيخُ : «وماذَا تنوِي أن تفعلَ بهَا، يا ولدِي؟» .

فقالَ المختارُ: «لقد فكَّرتُ طولَ النهارِ وأنَا أجمَعُها، ثمَّ وأنا صاعدٌ إلى هنَا فيمَا يجبُ عملُه، فاستقرَّ رأيِي على أن ننزِلَ هذه الليلة إلى الشاطئِ بالبغال والأكياس، وننقلَها إلى هنا، وندفِنَها في مطمورةٍ، ونرهِفَ أسماعَنا، ونتنظرَ. . . فإذا لم يظهرْ لها صاحبٌ، تصرَّفْنَا فيهَا حسبَ الكتابِ والسنةِ. فما رأيُك؟» .

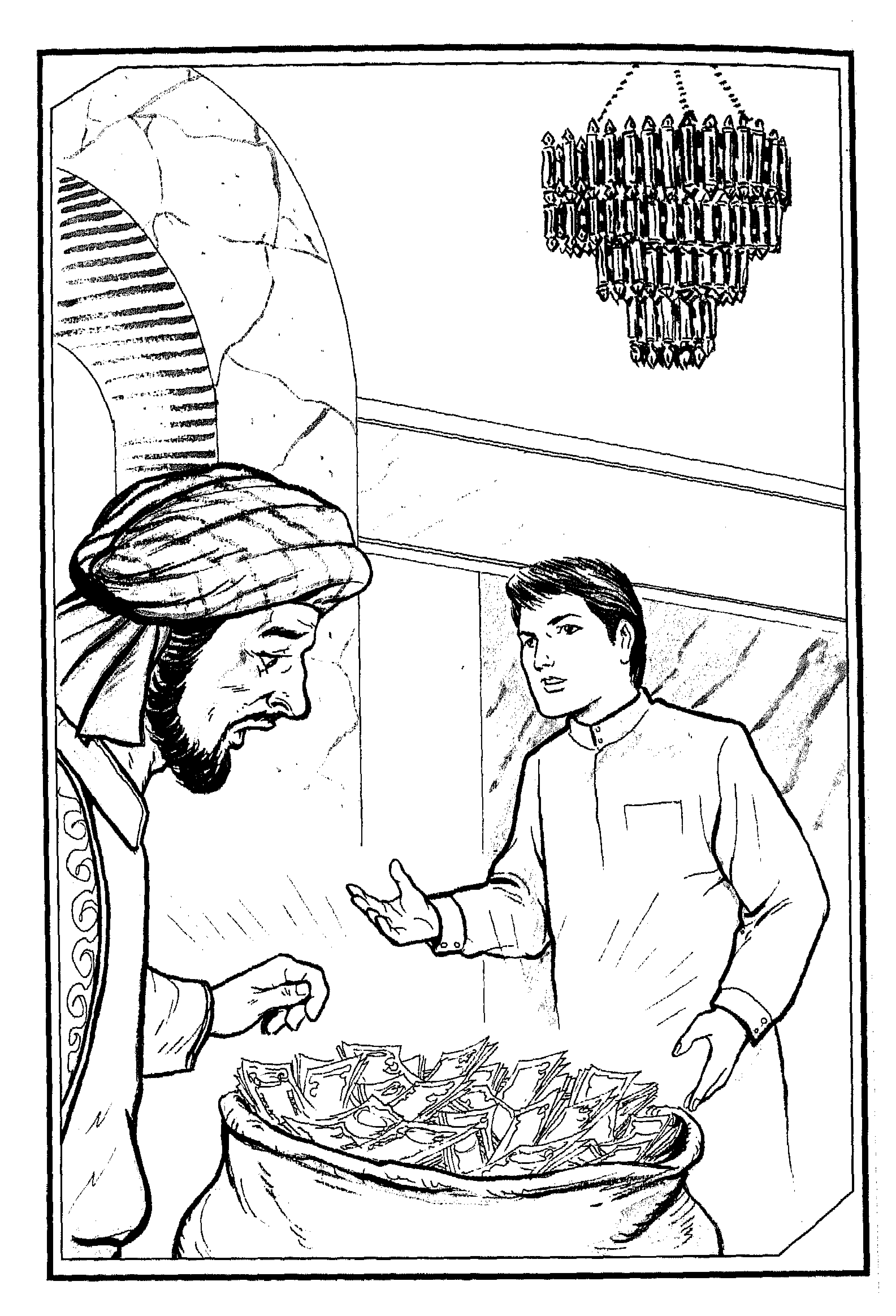
- هذَا رأيٌ حسنٌ، يا ولدِي، ولكنَّ هناكَ مشكلةً .

وانقبضَ صدرُ المختارِ:

- وما هيَ المشكلةُ ؟

- إنَّ هذهِ النقودَ عمرُها محدودٌ؛ فقد بلغنِي أنَّ الحكومةَ طلبتْ منَ الناسِ استبدالَ العملةِ العربيةِ بالنقودِ الأسبانيةِ، وحددتْ لذلكَ أسبوعينِ، وقدْ مرَّ منهُما يومانِ .

- وماذَا سنفعلُ ؟

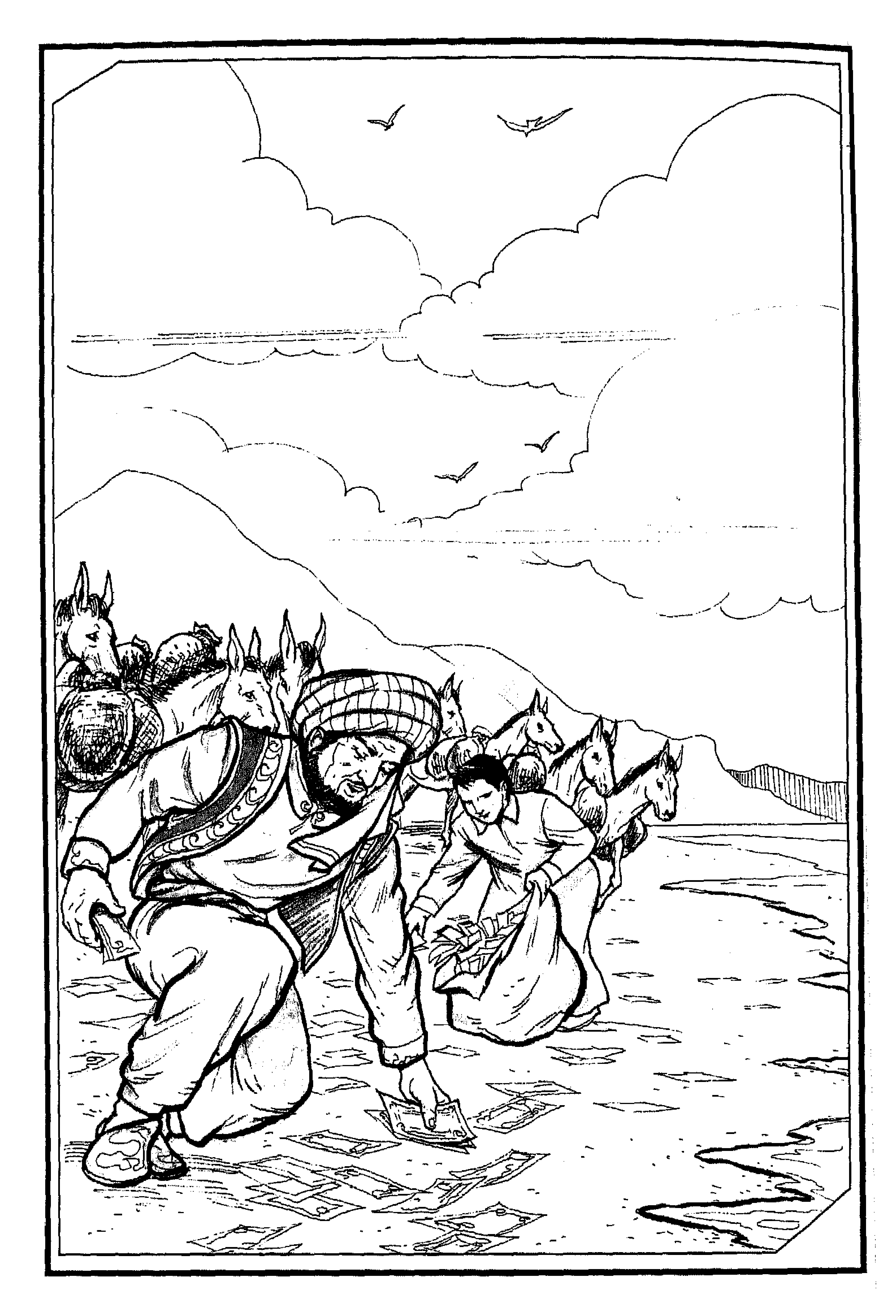


فنهضَ الشيخُ وقالَ:

- الآنَ نبدأُ بنقلِ الأوراقِ من الشاطئِ إلى هنَا، وغدًا ينعقدُ سوقُ الخميسِ، وننزلُ إليهِ لنتنسَّمَ الأخبارَ.

وبعدَ صلاةِ العشاءِ نزلاَ المنحدرَ وهمَا يقودانِ سبعةَ بغالٍ مربوطةٍ بعضُها إلى بعضٍ. فملآَ الأكياسَ، وحزمَاها على ظهورِ البغالِ حَزْمًا محكمًا. ومع منتصفِ الليلِ كانَا قدْ عادَا إلى القريةِ، ودفنَا الأكياسَ في عدةِ مطاميرَ. وبعدَ صلاةِ الفجرِ نزلَ المختارُ إلى الشاطئِ، والتقطَ ما تبقَّى من الأوراقِ، حتّى لا يبقَى لهَا أثرٌ بالمكانِ، وعادَ لينزلَ مع الشيخِ إلى السوقِ.

وفي سوقِ خميسِ الساحلِ، ربطَا بهيمتَيْهما، ودخلاَ يتجوَّلانِ بينَ الناسِ، وكانَ أولَ من التقيَاهُ الفقيهُ الطيبُ الكرفطيُّ، إمامُ جامعِ العرائشِ الذي أرسلَ المختارَ إلى الشيخِ، لقيهما باسمًا مستبشرًا، وكأنَّهُ كانَ يبحثُ عنهُمَا. وبعدَ أنْ سلَّمَ علَى الشيخِ توجَّهَ إلى المختارِ قائلاً: «جئتُ خصيصًا من أجلِكَ!».



فخافَ المختـارُ أنْ يكونَ بلغَه خبرُ الكنـزِ الذي عثـرَ عليهِ، ولكنَّ الرجلَ قالَ:

- أريدُ أنْ أكونَ أولَ من يبشّرُكَ بخبرٍ سيسرُّكَ كثيرًا. . . وهو يتعلّقُ بأخـويْكَ العاقّيْنِ، مـرزوقٍ ومسعودٍ. أتـذكرُ يـومَ أنكرَا أُخُوّتَكَ، وطردَاكَ ليَحْرِماكَ من نصيبِكَ في إرثِ أبيكَ؟

وكانَ المختارُ يتحرّقُ لمعرفةِ الخبرِ، فقالَ:

- نعمْ، أذكرُ. . .

فأضافَ الإمامُ:

- وكنتُ قلتُ لكَ: إنَّ اللهَ سينتقمُ لكَ منهُما؟

فقالَ المختارُ:

- نعمْ! نعمْ!

فقالَ الفقيهُ:

- لقـد صـدقَ وعـدَه، وأنـزلَ عليهمَا كـارثـةً لم تكنْ لهمَا في الحسبانِ!

وزيـادةً في التشـويقِ قطعَ الفقيـهُ حديثَـهُ، ودعـاهما لشربِ الشاي معَـهُ فِي مقهى السـوقِ، وجلسَ الثلاثـةُ حولَ طـاولةٍ، تحتَ شجـرةِ تينٍ عظيـمةٍ كثيفـةِ الظلِّ، وطلبَ الفقيهُ الشـايَ، وعادَ إلى حكايتِهِ بالحماس نفسه:

- إنَّ ما حـدثَ لِلصِّينِ لدليلٌ قاطعٌ علَى وجـودِ الله وعلَى أنَّهُ يُمهلُ ولا يهملُ... لقـد أفقَـرهُمَا في أقلَّ من دقيقـةٍ! كلُّ المالِ الذي جمعاهُ في ثـلاثينَ سنةً ذهبَ فِي رمشةِ عينٍ! لأنَّـه كانَ مبنيًّا على مالٍ مسروقٍ، مالٍ حرامٍ!

وحكَى لهمَا كيفَ أن الأخويْنِ الشرّيريْنِ فوجئا بأمرِ الحكومةِ بتغييرِ العملـةِ، وكيفَ أنَّهمَا جـاءَا ذاتَ صبـاحٍ بشاحنـةٍ ونقـلاَ كنـزَهُما إلى البنكِ المركـزيِّ للمدينـة، وأدخلَ الحمالـونَ الـرزمَ في صنـاديقَ إلى قـاعـةِ البنكِ، فأقفلَ المديـرُ البـابَ حتّى ينهيَ العمليـةَ الضخمةَ التي لمْ تخطـر على بـالِـهِ! وسلَّمَ المديرُ الـرزمَ لموظفِي الشبابيكِ لعدِّها.

وقـالَ الإمامُ: «ومـا كـادُوا يفتحونَ حبـالَهَا حتّى تبيَّنَ لهُم أنَّ الأوراقَ قـدْ لصِقَ بعضُها ببعـضٍ، وأنَّها أصبحتْ قطعًا صلبـةً

كآجُـرِ البناءِ ! وأخبرَ الموظفـونَ المدير، فـذهبَ بنفسه ليتـأكَّدَ . فأمسَكَ بـــرزمـــةٍ وأخــــرَى ، وحـــاولَ فـكَّ أوراقِهـــا ، دونَ جدوَى . . . فتـوجَّهَ إلى الرجلينِ ، وسـألَهُما بعنفٍ : «أينَ كانتْ هذهِ الفلوسُ ؟!» .

فقال مرزوق : «عندنا في خزانتنا . لماذا ؟» .

فقالَ المديرُ : « ولماذا لم تودِعَاها أحدَ البنوكِ؟!» .

ونظرَ كلٌّ منهُمَا إلى أخيهِ ، ولم يجيبَا . فقالَ المديرُ، وكأنَّهُ يلقِي في وجهيْهِما بقنبلةٍ :

- هـذِهِ الأوراقُ فـاسـدةٌ ! لم تعـدْ صـالحةً لـلاستعمالِ ، ولا يمكنُنَا أنْ نأخذَهَا منكُم !

ووقفَ الرجـلانِ يرمشانِ أمـامَ المديرِ ، غيرَ فاهمِيْنِ حقيقـةَ مَا يقصدُه ، فقالَ مسعودٌ :

- وماذَا سنفعلُ ؟

- ذلكما شغلُكُمَا ، ولكنّي أنصحُكُمَا بـــالتخلُّصِ من هـــذَا الآجُرِ الصُّلبِ ؛ فالاحتفاظُ بالعملةِ الفاسدةِ مخالفٌ للقانونِ .

واصفرَّ وجهُ مرزوقٍ، وأحسَّ بفراغٍ في ركبتيْهِ، وسقطَ مغشيًّا عليهِ! وجلسَ أخوهُ مسعودٌ إلى جانبِهِ، وقد أحسَّ هوَ الآخرُ بالضعفِ والوهنِ... وخافَ مديرُ البنكِ أن يموتَا هناكَ، فطلبَ الشرطةَ.

وجاءَ رجالُ الأمنِ، فحملوهُمَا وقناطيرَ نقودِهِمَا المتحجرةِ إلى منزليْهِمَا. وهناكَ تماثلاَ من الصدمةِ، وانصرفَا إلى الأوراقِ الماليةِ، يحاولانِ فكَّها بجميعِ الوسائلِ؛ أغرقاهَا في الماءِ، ثم في الزيت، وطبخاهَا، وضرباها بالهراواتِ، وبخَّرَاها في مباخرِ الكسكسِ، دونَ جدوَى!

وفي الصباحِ حضرَ رجالُ الشرطةِ ليُنبِّهُوهُمَا إلَى وجوبِ التخلُّصِ من العملةِ الفاسدةِ. فاضطُرَّا إلى تأجيرِ من نقلَها إلى الميناءِ، ومنه إلى مَركبٍ كبيرٍ أبحرَ بها داخلَ المحيطِ، وألقَى بهَا في لُجَّتِهِ، وهمَا ينظرانِ، وينتحبانِ على ضياعِ شقاءِ العمرِ كلِّه وسنواتِ التقتيرِ والحرمانِ!

وفي طريقِ العودةِ التفتَ مرزوقٌ إلى أخيهِ مسعودٍ، وكأنَّهُ تذكَّرَ شيئًا، وقال لهُ: «لا بدَّ أنَّ هذَا من عملِ ذلكَ الخبيثِ، أخينَا المزعومِ المختارِ ابنِ الضَّرَّةِ!».

فقالَ مسعودٌ: «أنـا أعتقدُ أنَّهُ من عملِ الفقيهِ الطـاهرِ الذِي أرسلَهُ إلينَا برسالتِـهِ التي مزقْتَها أنتَ ورميتَها ! وكانتْ بهَا بعضُ الآياتِ القرآنيةِ. أتذكرُ ؟» .

ولم يفتآ يتلاومانِ حتّى افترقَا عند بابِ شقتيْهِمَا . . .

وجاءَ دورُ المختـارِ، ليفاجئَ الإمـامَ الطيبَ الكورفطيَّ بخبرِهِ الخطيرِ، ونظـرَ إلَى شيخِ القـريةِ مستأذنًـا ، فأذِنَ لـهُ في الكشفِ عن سرِّ الكنزِ الكبيرِ. وفـوجئَ الإمامُ فعلاً بالخبرِ، وأخـذَ يردِّدُ، وهوَ ينظرُ إلى السماءِ :

– سبحانَ الله ! سبحانَكَ، يا جليـلُ ! ما أعدلَكَ، يا ربّ ! تُمهِلُ ولا تُهمِلُ !

فتساءل المختار:

– وما الذي ينبغي عملُه بهذا المالِ في نظرِ الشرعِ ؟

فلم يتردَّدِ الشيخ في الجوابِ :

– هذا مـالك ! سرقَهُ أخواك منك ومن المرحـومة أمك ، وردَّهُ الله إليك !

كـانَ يتكلَّمُ بحماسٍ ، وقــد احمرَّ وجهُـهُ المستـديــرُ، وكأنَّـهُ اكتشفَ كنزًا أعظمَ منْ كنزِ المختارِ:

- ألمْ ترَ قدرةَ الله تتصرَّفُ لتعيدَ المالَ إلى من يستحقُّهُ؟! ألمْ ترَ كيفَ جعلَ الأوراقَ الماليَّـةَ تلتصِـقُ، وتصبحُ قطعًـا صلبـةً، لمْ ينفعْ في فصلهَـــا مـــاءٌ ولا زيــتٌ ولا طهيٌ ولا ضربٌ ؟! وكيفَ جعلَ الأخـوينِ يلقيانِ بهَا في البحـرِ، ولا يحرقانِها ؟ وذلكَ كـانَ أسهلَ؛ فالأفرانُ والحمامـاتُ كثيرةٌ ! ولكنَّهُما ألقيَا بهَا في البحرِ، لأنَّ بماءِ البحـرِ مـادةً تـذيـبُ اللصـاقَ، وتفصلُ الأوراقَ ! ثمَّ كيفَ أخرجَ تلكَ الأوراقَ إلى ذلكَ الشـاطئِ، وفي ذلكَ الصباحِ بـالـذاتِ؟ ! وجعلَكَ أنـتَ، دون غيرِكَ، تنـزلُ لـلاستحمامِ في ذلكَ الـوقتِ خـاصـةً؟! . . . مصـادفـاتٌ ! أنـا لا أقـولُ إنها مصادفاتٌ، إنَّها تـرتيبٌ منهُ، سبحانه وتعـالى، لا إلهَ إلا هوَ ! فحذارِ أن تفكِّرُوا في إرجاعِ المالِ إليهِمَا !» .

فَحَرَّكَ الفقيـهُ رأسَهُ غيرَ مـوافق، وقـال: لا يا ولَـدِي. هذا المال ليس لك وحـدك، بل إن لأخويكَ نَصِيبًـا فيه. وأقترح أن نذهب إلى القَاضِي لنعْرِفَ قولَ الشرْعَ فِيه.

ثم ابتسم وكأنَّه تذكَّر شيئًا مهمًّا، وقال:

- علَى كلِّ حالٍ، حتّى لو أردتَ إعادتَه إليهما فلن تستطيعَ!

فاستفسرَ الاثنانِ:

- لماذَا؟

- لأنَّ أحدَهُمَا، وهو مرزوقٌ، سقطَ ميتًا بمجردِ عودتِهما من البحرِ، بعدَ إلقاءِ شحنةِ الأوراقِ الفاسدةِ! أمَّا مسعودٌ، فقد أصيبَ بشللٍ نصفيٍّ، من جرّاءِ ارتفاعِ ضغط الدمِ... وهو الآن في غرفةِ الإنعاشِ بالمستشفَى العموميِّ، لا يجدُ من يرحمُهُ غيرَ زوجتِهِ المسكينةِ التي لا تفقهُ شيئًا. جميعُ مستخدِمِي المستشفَى يتفادونَهُ، لمعرفتِهم بشُحِّه وتقتيرِهِ على نفسِهِ وأهلِهِ، وبُغضِهِ لعملِ الخيرِ!

وعزَّ علَى المختارِ أن ينتهيَ أخُوهُ إلى هذا المصيرِ، رغمَ كلِّ ما فعلَهُ بِهِ... وحاوَلَ البحثَ في ذاكرتِهِ عن التفاتةٍ وُدّيّةٍ قامَ بها أحدُ الأخوينِ نحوَه، كمداعبتِهِ أو حمله، أو إخراجِهِ للفسحةِ أو شراء حلوَى أو لعبةٍ لَه، فلم يجدْ! لم يتذكَّر إلا وجهيْنِ عابسينِ في وجهِهِ، وعينينِ حاقدتين تنظرانِ إليهِ، وصوتينِ ينبحانِهِ كلما اقتربَ منهُمَا! وأيقظَهُ الشيخ من شرودِهِ بسؤالِهِ:

- ماذَا تنوِي أن تفعلَ بنصيبك من المال ؟

- لا أدرِي . حوائجِـي كلُّهَا مقضيّـةٌ ، والحمدُ الله ، في عملي بدشرِ الرواحِ .

فقالَ الإمامُ مداعبًا :

- لا تشغلْ بالَكَ بشيءٍ، يا بنـيّ ؛ المالُ يفتحُ أبوابَ صرفِهِ ! ولا بـدَّ أنَّ الله الـذِي أعادَهُ إليكَ ، سيلهمُكَ أحسنَ الـوسـائلِ لإنفاقِهِ .

ووضع يده على يد المختار، وقالَ :

- أمَّا الآنَ فعلينَـا التفكيرُ في تحويلِ الأوراقِ الماليّـةِ إلى عملةٍ مغربيةٍ .

ونظرَ حواليْهِ ، وانحنَى ليهمِسَ لهمَا :

- لن نُبَـدِّلَ في العـرائِشِ إلا مبلغًـا معقـولاً، حتّى لا نثيرَ الشكوكَ . والبـاقِي سنحوِّلهُ في بنـوكِ مدنٍ أخـرَى ، مثلِ أصيلةَ والقصرِ الكبيرِ وطنجةَ وتطوانَ والناظورِ.

وتأثّرَ المختارُ بدفءِ المحبّةِ والرعايةِ الأبويةِ التي يكنُّها له الرجلانِ، فدمَعَتْ عيناهُ، وقالَ:

- لا أدرِي كيفَ أشكُركُما! أنَا لا أهلَ لِي، فأنتمَا منَ الآنِ أهلِي، وهذه الفلوسُ هيَ لكُمَا، كمَا هيَ لِي، وسأفعلُ كلَّ ما تنصحانِنِي بهِ...

فقالَ الشيخُ مقترِحًا:

- كنتَ دائمًا تحلمُ بإتمامِ دراستكَ بالقرويينَ، وهذِه فرصتُكَ! وستتيحُ لكَ مدةُ الدراسةِ وقتًا كافيًا للتفكيرِ فيمَا تفعلُهُ بالمالِ.

فقالَ المختارُ:

- هذَا اقتراحٌ حسنٌ، إلا أنَّنِي أودُّ أن أقومَ بعملٍ، وأريدُ أنْ توافقانِي عليهِ...

وأنصتَا إليهِ باهتمامٍ، فقالَ:

- أريدُ أن أنقلَ أخي مسعودًا إلى عيادةٍ خاصةٍ، إكرامًا لذكرَى والدِي، رحِمَهُ الله، وللرحمِ التي بيننَا.



وتأثَّـرَ الرجلانِ لمعينِ الـرحمةِ الفيّاضِ في قلبِ الفتَـى، وقالَ الفقيهُ:

- هذه التفاتةٌ لا تصـدرُ إلا عنْ قلبٍ كبيرٍ، يا ولدِي ! هنيئًا لكَ !

وعـجزَ لسانُ الشيـخِ عن التعبيرِ عـنْ مشاعرِهِ، فأمسكَ رأسَ المختارِ وقبَّلَهُ . . .

هذه السلسلة



تضم هذه السلسلة مجموعة مختارة من القصص والروايات التربوية التشويقية المختارة للكاتب المغربي المعروف أحمد عبدالسلام البقالي، الحاصل علي جائزة «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم».

وهي موجهة للشباب بأسلوب الأستاذ البقالي السلس، وخياله الخصب، وخطوته السريعة التي تنقل القارئ من مفاجأة إلى أخرى، ومن عالم إلى آخر، يقرب للقارئ أحداث الماضي البعيد، ويلقي الأضواء على عوالم المستقبل، بالبراعة نفسها التي يتناول بها الحاضر. ولا غرابة فالبقالي من أبرع كتاب القصة البوليسية الخيالية العلمية الحديثة للشباب في العالم العربي.

مكتبة